أن تتباسط والجرح

أشجان الهندي

قطفتُ نهارين
سالت على الدربِ أسطورةٌ من
خزف
قطفتُ مساءين
حلّق في السيل ليلٌ ورف
قطفتُ سؤالاً
فأسلمني نومُ كهفٍ لكهف.
جمعتُ سلال النعاس الثقيلِ،
وأسلمتُ بعضي إلى بَعضهِ
حلمتُ بنهرٍ من التوتِ لا يستر
العُريَ، بريحانةٍ تتبرّجُ للماءِ،
حلمتُ بغصنين يرتعشان،
فأخرجني النومُ من روضِهِ
ت
س
ا
ق
ط
تُ
حشرجةُ الخوفِ تلطمُ أرديتي،
فتسوخُ خطاي، وتغرسني في
عروق الرمال
وشمسُ المدينةِ تفترشُ الشوك،
تعبثُ بالعوسجاتِ الحبالى،
تُفتّقهنّ، فيهمي حريقٌ تدافق
أضلاعُهُ للنزال
أفي النارِ نومُ؟
أفاقت عيونٌ مغلّفةٌ بلهيب السؤال.
أيعرفني القومُ؟
طالت أظافرُ راحلتي،
وأناخ على الوجهِ رعبُ الجبال.
أيعرفني القومُ؟
بوركتِ يا بلدةً لا تشيخُ،
ولا تنحني لطقوس الزوال.

للقوم أجنحةٌ من قطا
ولي لَغةٌ لستُ أذكرها، وبقايا جناح
لهم أعينٌ لا تفيض من الدمع
أفئدةٌ لا تهشُّ إذا طارح المطرُ
العشبَ،
ولي خافقٌ من فلولِ الرياح.
أيعرفني القومُ؟
بوركتِ يا بلدةً تشرب الآه ما نكأ
المتعبون الجراح.

أتيتكِ طوعاً
وكرهاً أتيتُ
وجوعاً أتيتُ
وحبّاً وحرباً، وسلماً أتيتُ
أتيتُ وكلّي وجوهٌ تموجُ،
تفورُ على مرجل الصمتِ
تناسَلُ من رحم الوقتِ،
أيعرفني القومُ؟
صبارةٌ في الفلاةِ تقاسمني الشكُّ،
تنفخُ أوداجها بالتعب.
عصفورةُ النار في داخلي
تُهيّئُ أفراخها للهب.
أيذكرني القومُ؟
ظلماء يا بلدةً حين تغفو تظلّل
أقمارها بالهدب.
تفيضُ المساربُ
ينعطفُ الدربُ
تلتمُّ كلُّ البيوتِ التي مسّها شبقُ
العنكبوتِ
نغني سويّاً
نُفتّحُ أعشاشنا للعناقيدِ،
نستمطرُ الجفناتِ الشُمالى،
ونمضي سويّاً،
تجفُّ المساربُ
ينتفضُ القلبُ
أوي إلى الكهفِ ثانيةً،
وأهيل على مفرقِ الشمسِ زوبعةً،
أتباسطُ والجرحَ
أنشبُ أظفارَهُ في دمي
أُغلغلُ في دفقه حلمي،
أُرويه بالطلح
أزرعهُ في عظَام النهار
أيعرفني النومُ؟
تقلّبني كفُ ريح اليمينِ
ويقرضني الغيمُ ذات اليسار
أيعرفني النومُ؟
يشتدُ عودُ الأناشيدِ،
أقطف ريحانةً للغناءِ،
وأسترُ بالعري صمتَ الجدارِ

أيعرفني النومُ؟
بوركت يا بلدة تستفيقُ،
لتغفو على وابلٍ من غبار.

الرياض